الأستاذ: النذير ضبعي
السنة: الثانية ليسانس
المادة: المدارس اللسانية
التخصص: دراسات لغوية
المحاضرة رقم 05 من 14
عنوان المحاضرة: مدرسة براغ 02

تعد مدرسة براغ الجسر الرابط بين الشكلانية الروسية والبنيوية، فقد استطاعت أن تشكل نقلة نوعية للفكر الشكلاني إلى البنيوية الحديثة، وفي هذا يقول تيري إيجلتون: "إن مدرسة براغ تمثل نوعا من الانتقال من الشكلية إلي البنيوية الحديثة. فقد طوّر أعضاؤها أفكار الشكليين، لكنهم نظموها نسقيا على نحو أكثر رسوخا في إطار لغويات دي سوسير، حيث أصبح من الواجب النظر إلي القصائد باعتبارها بنيات وظيفية تكون فيها الدالات والمدلولات محكومة بمنظومة واحدة مركبة من العلاقات، ويجب دراسة هذه العلامات لذاتها، وليس كانعكاسات لواقع خارجي. لقد ساعد تأكيد دي سوسير علي العلاقة التعسفية بين العلامة والمرجع، بين الكلمة والشيء علي فصل النص عن الوسط المحيط به وجعله موضوعا مستقلا[1].

وقد استطاع جاكوبسون أن ينقل مصطلح "البنيوية" إلى مجال الدراسات الأدبية، فهو يرى أن البنيوية هي الأنسب للدراسات العلمية المعاصرة؛ لأنها لا تعالج القضايا والضواهر معالجة جزئية وإنما تقوم على دراسة الأشياء بعدّها كلا بنيويا، أي أنها تربط العناصر اللغوية في النص بعضها ببعض، وتبحث عن العلاقات التي تربطها ببعضها، وتنظر إليها على أنها كل متكامل لا يمكن الفصل بين أجزائه، سواء تعلق الأمر بالنظام الصوتي، أو الصرفي أو التركيبي. كل هذا من أجل الكشف عن القونين الداخلية التي تتحكم في النظام اللغوي، فوظيفة البحث هنا هو الكشف عن هذه القوانين وعن هذه الأنظمة التي تحكم هذا الكل المتكامل، وتحكم سيرورته، بعيدا عن كل المعطيات الخارجية مثل المتكلم والمخاطب والمكان والزمان والحالة الاجتماعية والنفسية والتاريخية .... أي كل المعطيات السياقية. يقول جاكبسون: "إن كان علينا أن نحدّد الفكرة التي تقود العلم الحالي بتجلياته الأشد تنوعا، فمن الصعب أن نقع علي خيار أنسب من البنيوية. فالعلم المعاصر لا يعالج أية مجموعة من الظواهر التي يتفحصها بوصفها كتلة ميكانيكية وإنما باعتبارها كلا بنيويا، أو نظاما تتمثل المهمة الأساسية بالكشف عن قوانينه الداخلية سواء كانت سكونية أم تطورية. ويبدو أن المنبه الخارجي لم يعد بؤرة الاهتمامات العلمية، بل الأسس الداخلية للتطور؛

[1] - ينظر: تيري إيجلتون، مقدمة في نظرية الأدب، ص 124.

فالتصور الميكانيكي للسيرورات أو العمليات يخلي الطريق للسؤال المتعلق بوظيفة هذه السيرورات[2].

لقد تبنى البراغيون الاتجاه الوظيفي، ولم يكن اختيارهم لهذا الاتجاه اعتباطيا، وإنما كان النتيجة الطبيعية لإيمانهم الراسخ بأن اللغة تستخدم وسيلة من وسائل الاجتماع، وأداة ذات غرض محدد. فاللغة عندهم هي نظام من وسائل التعبير المناسبة لهدف ما. وبذلك فإن الوظيفة في عرف البراغيين تعني ربط اللغة بالوافع المادي والإنسان المتواصل[3]، فهي دائما مرتبطة بالواقع غير اللغوي، وبهذا يقترب البراغيون من بلومفيلد الذي يؤمن بأن اللغة ليس لها وجودا بعيدا عن المتكلمين.

وبذلك استطاعت هذه المدرسة أن تؤسس للدراسات البنيوية، على الرغم من تركيز أصحابها على الطابع الوظيفي للغة، وعدم اقتصارهم على الدراسات العلمية فحسب بعدما ربطوها بالواقع وبالمتكلمين وبالتواصل، واستطاعت تقديم تفسير ناجع للدراسات الفونولوجية.

وقد هيمنت على الدرس اللساني ردحا طويلا من الزمن، ولا يزال تأثيرها إلى يومنا هذا بفضل جهود منظريها الذين استطاعو بناء درس لساني بنيوي يعنى بالوظيفة اللغوية.

---

[2] - Lubomír Doležel: Structuralism of the Prague School, P.34

[3] - ينظر: هيشن، كلاوسن، القضايا الأساسية في علم اللغة، ترجمة سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، 2003، ص 63.